المدروسة، وهي عند التّأمُّل تشكل نقيضا لتحليل المحتوى ودراسته في ضوء مفهوم الانعكاس، فبصدد دراسة رواية «ألف ليلة وليلتان» لهاني الراهب يضع محمد كامل الخطيب سؤالاً نقدياً له أهمية بالغة. ويجيب عنه في الوقت نفسه: «ما الرأي في عالم هذه الرواية؟

سيكون الجواب حسب الموقع والوعي الاجتماعي والفني للقارىء، المجيب» (ص: 100).

ومعنى هذا أن قضية ربط عالم الرواية الداخلي ـ بشكله المنثور ـ بالعالم الواقعي، لم تعد لها أهمية تذكر، لأن الرواية ـ أية رواية ـ تنتظر منا أن نُعطي رأينا فيها. بمعنى أنها تقول شيئاً ما، وهذا القول لا نلتقطه جميعاً ـ باعتبارنا قراء أو نقاداً ـ بشكل واحد، ولكننا نُؤوِّله وفق وضعنا الاجتماعي، ونوعية وعينا، وخبرتنا الفنية(*). وبهذه الصورة لم يعد لقضية الإنعكاس أو مقارنة المحتوى مع الواقع أيُّ دور في العملية النقدية، بل لا أهمية لهذا الدور ما دام التأويل يفترض تقبل رسالة الرواية المدروسة ثم بعد ذلك إخضاعها للتأويل، لا تأويل محتوياتها كما هي اعتماداً على الانعكاس. وفكرة الناقد هنا تكاد تتبنى رأي ميشال ريفاتر القائل: «إن التمثيل الأدبي للواقع، أو ما يسمى بالمحاكاة ليس إلا خلفية تجعل الخاصية اللامباشرة للدلالة، قابلة لأن تدرك»[127]. اذن فما يُؤوِّله النقاد على اختلاف تصوراتهم هو هذه الخلفية المُوَلِّدة لشتى الدلالات الممكنة.

إن مثل هذه «الصحوات» النقدية، لا تعتبر ـ في نظرنا ـ ذات أهمية بالنسبة «للتحليل» ذاته، لأنها لا تؤثر فيه، وهي بذلك تكتفي بخلق انطباع عند القارىء أو الناقد المتسرع بأن الدارس يتبنى في «التحليل/الممارسة» منهجاً أكثر طموحاً مما هو عليه بالفعل. **وهذه هي على كل حال حيلة من حيل الممارسة النقدية غايتها تحقيق صورة مشرقة عن عمل الناقد**[128].

وفي إطار الكلام عن التأويل نتحدث عن خاصية أخرى يتميز بها الجانب التطبيقي في كتاب «الرواية والواقع» لمحمد كامل الخطيب، وهي خاصية التأويل الإديولوجي الذي يعكس موقفاً مباشراً للكاتب ويجعله ـ إذا تعلق الأمر بالممارسة النقدية ـ ينتمي إلى النقاد السوسيولوجيين الأوائل، أولئك الذين أشرنا إليهم عند الحديث عن النمط الأول، من

---

(127) M. Riffaterre et Autres: **Littérature et réalité voire: L'ullusion réfférentielle.** Points - Seuil. 1982. P. 91.

(*) أنظر معالجة هذه الفكرة بالذات مع اعطاء المثال بالرواية نفسها في كتاب:

Buyssens: **Vérité et langue, langue et pensée.** Ed. Institut de sociologie. Bruxelle 1969. P. 37.

(128) أنظر أيضاً ما يقوله الناقد بصدد الموقف الكلي للرواية، وأنَّ المهم في دراسة الرواية هو ما تقوله ككل «بعد أن تُنْحَر كتابة وقراءة». **الرواية والواقع**، ص 96.